مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

مخاطر العالم الافتراضي على الديمقراطية

محمد رهبري

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلّ، وإيجاد حلول عمليّة جليّة لقضايا معقدة تهمّ الحقليْن السياسي والأكاديمي.

ملاحظة:

الآراء الواردة في المقال لا تعبر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وانما تعبر عن رأي كتابُها.

حقوق النشر محفوظة © 2021

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

مخاطر العالم الافتراضي على الديمقراطية

محمد رهبري *

جلبت الانتخابات الرئاسية الأخيرة في الولايات المتحدة وانكسار دونالد ترامب أنظار طبقة كبيرة من المجتمعات حول العالم، وعلى الرغم من ذلك الانكسار إلا أنه لا يمكن تجاهل الفوز الهش لبايدن في العديد من الولايات، فقد صوت ملايين الناخبين لترامب بشكل فردي وهو الرجل الذي تجاهل حقوق الأقليات جهاراً، ووضع القواعد والقوانين تحت قدميه، وباختصار فإنه كان عدواً للديمقراطية، ولكن ما الذي حصل ليتولى عدو الديمقراطية هذا زمام الأمور في دولة تعد مهد الديمقراطية، ويخسر بدورتها الثانية بصعوبة بالغة وبفارق ضئيل.

إذا ما تأملنا في الأحداث السياسية من 2016 ومنذ أن اختير ترامب رئيساً للولايات المتحدة وحتى اليوم، نشاهد أن الديمقراطية لم تواجه مشكلات في أميركا فحسب، بل شهدنا ظهور حركات متطرفة في الكثير من البلدان الأوروبية، فعلى سبيل المثال: حصلت في بريطانيا أحداث وتحديات عصفت بالبلاد، وهذ التحدي كان يواجه العديد من الديمقراطيات الغربية، فكما يبدو فإن البلدان التي تتبنى حماية الديمقراطية والدفاع عنها وتدعي بأنها مهد الديمقراطية، تواجه أيضاً تحديات أخرى، وبغض النظر عن العوامل المؤثرة في السياسات الداخلية والمسائل المجتمعية، ما هي العوامل التي اثارت هذه الأمور؟

ولعلك سمعت بفضيحة بيانات Cambridge Analytics التي يدعى انها ساهمت بفوز ترامب في انتخابات 2016، وهي الواقعة التي تم فيها تحليل صفحات 87 مليون أمريكي على فيس بوك، وتقديم الاستشارة الانتخابية لحملة ترامب، من أجل ترويج إعلان أكثر نجاعة لصالح ترامب، ولكل مستخدم فيسبوك أميركي وطبقا لخصائصه النفسية.

وهذا مثال واضح للمساعدة التكنلوجية وشبكات التواصل الاجتماعي لأصحاب القدرة والثروة مثل «ترامب»، مع الإمكان أن يكون ترامب واحداً من أعداء الديمقراطية، ولكن السؤال المطروح هو: هل كانت شبكات التواصل الاجتماعي قد عملت لخدمة ترامب فقط؟.

* باحث ومختص بالشؤون السياسية.

ومع ظهور العالم الافتراضي والهواتف الذكية اعتقد علماء الاجتماع والباحثون في علم السياسة ولسنوات طويلة، أن ثورة الهواتف الذكية ستقدم خدمة للديمقراطية، لأنهم اعتقدوا أن الفضاء الإلكتروني سيكسر العلاقات العمودية، وتقلل الحاجة إلى القيادة لدى التيارات الاجتماعية، وتساعد الحركات المتساوية والديمقراطية على بناء علاقات أفقية.

كذلك كان الاعتقاد السائد من قبلهم أن ثورة التواصل هذه ستعمل على زيادة الشفافية وبسط الديمقراطية وتبادل المعلومات؛ وبالتالي تعمل لخدمة الديمقراطية، ولكن بعد مرور مدة من الزمن اتضح أن هذا الكلام ليس بالضرورة أن يكون صائباً.

فشبكات التواصل وعلى الرغم من أن تؤدي دور تبادل المعلومات وزيادة الشفافية، إلا أنها ممكن أن تكون عدواً لدوداً للشفافية، حيث باستطاعتها أن تكون منبراً مناسباً لافتعال أو إنتاج الأخبار الكاذبة؛ وبالتالي تساهم وبسهولة في تضليل الشارع، وما حصل في روسيا عام 2014، والحدود الأوكرانية واختفاء الطائرة الماليزية خير دليل على ذلك، فكان الكثير من المتابعين يعتقدون أن روسيا هي من اختطفت الطائرة، ويقدم أدلة على ذلك، إلا أن هذا الاعتقاد لم يبق سائداً، فقد اوضح الكاتب «كريس شافر» ذلك بكتابه «البيان مقابل الديمقراطية» بشكل مفصل، وهو انه كيف استفادت روسيا من الأدوات المتاحة لشبكات التواصل الاجتماعي، وافتعال الأخبار المزيفة ومن مصادر متنوعة، من أجل تضليل الناس بهذا الصدد، حتى وصل الأمر إلى النقطة التي يتطرق لها «شافر» وهو ضياع المتابع بين الحقيقة والزيف.

وبالتالي تكون شبكات التواصل منصة مناسبة لنشر الأخبار المزيفة، وكما يقول «كاستلز» في كتابه «التفكك في الأزمة الديمقراطية الليبرالية»: الأخبار السالبة تعادل خمسة اضعاف الايجابية منها، إذن شبكات التواصل ليست غير داعمة للحرية فحسب، بل تقف بالضد منها في بعض الأحيان.

وشبكات التواصل الاجتماعي لها جانب مظلم أيضاً، كـ»سياسة الفضح»، وكما يذهب عالم الاجتماع والأستاذ بجامعة كامبريج «تامسون» بأن سياسة التشهير في عصر هيمنة تكنولوجيا المعلومات هي أهم جانب من جوانب شبكات التواصل المظلمة، وبعبارة أخرى: إن فضح القادة السياسيين من خلال أخبار واقعية كانت أو كاذبة، وفرض انعدام الثقة بواسطة «السوشيل ميديا» بات أمراً أيسر من ذي قبل، وكما يقول كاكاستيلز: إن سياسات التسقيط أدت غالباً إلى تفضيل

الناس لمرشحهم الفاسد على منافسه المماثل له؛ لأنه طبقاً للنظرة العامة فإنهم جميعاً كبعضهم البعض؛ لذا من الممكن تجاهل السلبيات ونقاط الضعف.

وبالنتيجة وبعد أن يتم تجاهل السلبيات والتلكؤ السياسي والأخلاقي للعديد من القوى السياسية، وهي الظروف نفسها التي أوجدت ترامب والقادة الفاشية، يزداد الإحساس بفقدان الثقة والانحلال الأخلاقي للسياسيين؛ مما يسهم بإيجاد «أزمة الشرعية»، لأن فقدان الثقة بالقوى والأحزاب والكيانات السياسية سيجعل منها أحزاباً فاقدة للشرعية، فيما تؤدي المؤسسات دوراً حاسماً في تحقيق الديمقراطية والحفاظ عليها.

ولشبكات التواصل الاجتماعي مخاطر أخرى تهدد ثقافة الديمقراطية ايضا بصورة غير مباشرة في مجتمعات مختلفة، فقمع الاصوات المعتدلة داخل شبكات التواصل ستزيد من غضب الرأي المخالف؛ بسبب الآلية النفسية الحاكمة على جو العالم الافتراضي، وإن هناك أيضاً ظاهرة غرفة عمليات التصدي، التي تجعل من الناس أقل عرضة للأفكار المختلفة، مما أدى إلى انخفاض نسبة التسامح بين رواد مواقع التواصل، وإضعاف الصوت المعتدل وإعلاء الصوت المتطرف، وإلى جانب ما قيل فيمكن الإشارة إلى أضرار أخرى ناتجة من العالم الافتراضي تضرب ثقافة الديمقراطية في الصميم، أعم مما ذكر من الانحدار العقلائي والتفكير الانتقادي لرواد مواقع التواصل، ولكن هل هناك حلول أو طرق لمواجهة هذه المشكلات؟.

ولحسن الحظ فإن الباحثين باتوا مطلعين تماماً على تلك المشكلات ويعملون على وضع الحلول لمواجهتها، وإحدى الإجراءات المتخذة كانت من «تويتر» بعد أن علقت الحسابات التي تنشر الاخبار المضللة والكاذبة، وكذا طرح انستغرام المحتمل والذي لا يسمح برؤية إعجاب لأي منشور إلا لصاحب المنشور نفسه، فالباحثون ليسوا مكتوفي الأيدي ازاء مشاكل العالم الافتراضي، بل يسعون دائما لإيجاد الحلول المناسبة من أجل زيادة عوامله الإيجابية.

وكيفما كانت فعالية الباحث بهذا الخصوص إلا أنه لا يستطيع تصفير مشاكل شبكات التواصل الاجتماعي، فضلاً عن أن الحكومات واصحاب رؤوس الأموال يستثمرون قدرة شبكات التواصل لبسط نفوذهم واقتدارهم وتضليل الناس عبر نشر الأخبار المزيفة، وبالمراقبة والسيطرة على العقول يقفون سداً منيعاً أمام تشكيل أي حركة شعبية.

وكما قال مؤلفو كتاب «الاضطراب السياسي»: إن الحلول متوفرة داخل شبكات التواصل،

واننا في حالة اضطراب داخل هذه الشبكات حيث لا يمكن التنبؤ بأي شيء سلباً كان أو إيجاباً، لذا ما تزال الفرصة مؤاتية أمام الكيانات المستقلة وعامة الناس، بأن تنتهي تلك الاضطرابات لصالحهم، فالخطوة الأولى يجب الابتعاد عن التفاؤل بشبكات التواصل، والنظر إلى أنها سلاح ذو حدين، كالسكين التي يستفاد منها لخدمة البشر تارة، وظلمهم تارة أخرى.